النسبيةُ الزمَانِيةُ فِي العَمَلِ الأَدَبي

"رؤية تحليلية وصفية"

دكتور

عطية محمود حسانين

أستاذ الأدب والنقد المساعد

كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات – جامعة الأزهر

الملخص

ينطلق البحث من أهمية المدلول الزمني بالنسبة للعمل الأدبي على اعتبار أن آليات ظهوره في النص الشعري تمثل أهم جوانبه ، وتتناول الدراسة البناءَ الزمني عبر قراءة تهدف إلى الكشف عن نسبية الزمان وأثرها في العمل الخلَّاق، كما تتبعت هذه الدراسة أثر النسبية الزمانية عند الشعراء العشاق عبر مستويات أو أنواع جاءت للكشف عن وجدان الشعراء وقدرتهم في توظيف عواطفهم لمعالجة الأحداث والتجارب العاطفية والاجتماعية التي تراكمت وتداخلت فيها الأزمنة بشكل جمالي له غايات فنية ، وما يمكن أن تثيره النصوص المتفارقة والمتجاورة من مشاعر وأحاسيس ، وبحثت في استعدادات الشاعر لتلقي ما ترمي إليه النصوص ، ومُتابعة ما يحدث له من مادة زمانية حول علاقة الواقع بالنظريات النسبية ، لتستظهر ما وراء الإدراك الخارجي من الناحية النفسية.

الكلمات المفتاحية: النسبية ، التباطؤ ، التسارع ، الانعدامي ، الانسيابي .

دكتور

عطية حسانين

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

Ammohammad@ju.edu.sa

Abstract

The research is based on the importance of the temporal significance in relation to literary work, given that the mechanisms of its appearance in the poetic text represent the most important aspects of it, and the study deals with the temporal structure through a reading aimed at revealing the relativity of time and its effect on creative work. This study also traced the effect of temporal relativity among lovers poets across levels Or types that came to reveal the sentiments of poets and their ability to use their emotions to address events and emotional and social experiences that have accumulated and overlapped times in aesthetic manner that has technical goals, and what can be raised by the dispersed and contradictory texts of feelings and sensations, and examined the preparations of the poet R to receive what the texts aim for, and to follow up on what is happening to him from the temporal material about the relationship of reality with relativity theories, to memorize what is outside the external perception from a psychological point of view.

Keywords: Relativity, Deceleration, Acceleration, Inertia, Streamline.

Attia Hassanein

Department of Literature and Criticism , the College of Islamic and Arab Studies ~ Al-Azhar University,Egypt.

Ammohammad@ju.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي لا يليق بالحمد أحد سواه، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ونزَّه نبيه عن الشعر والتأويل.

وبعد.

فإن فلسفة الزمان أو انزياحيته أو نسبيته... كلها مسميات شغلت الباحثين على مختلف المستويات البحثية، منا الأدبية، والتاريخية، والدينية، والفلسفية، والفيزيائية، والنحوية، وغيرها ؛ لأن موضوع الزمان – كمفهوم أساسي في فهم المعارك الإنسانية – يرتبط بالكثير من الجدليات والإشكاليات والأساطير، فالزمان تيار جارف يَحمل ولا يُحمل، يُؤثِّر ولا يَتأثَّر، يَحتوي ولا يُحتوى، يُغيِّر مسارات كثيرة، ولكنه لا يُغيِّر مساره أو مجراه.

فمما لا شك فيه أن الزمان يسهم في صناعة النص، ويحركه في حالة دائمة، تُنبئ بميلاد جديد قادم، أو فناء قد مضى، فحسيته الافتراضية المتعلقة بالكلمات، أو المعنوية المتمثلة في قيمته النسبية وأثرها النفسي ؛ تمنح العمل الأدبي تكريساً للمعاني والصور، وتكشف عن رمزية زمانية، تستهدف ظهور مفارقة تتعلق بالخيال أو المحاكاة التي لا يمكن اشتقاقها من التجربة الظاهرة أو المفهوم المعجمي ؛ لأن إضفاء طابع النسبية على الأزمنة يعبر عن استقلالية كل زمن من ناحية الدلالة التي يتناولها النص، وليس من ناحية التردد الذي يعنيه الشاعر.

وهذا يعني أن القيم الزمانية ليست قيما مطلقة– إلا ما كان في حدود الأزمان التي آثر الله تعالى بها ذاته – بل هي قيم نسبية تضيق وتتسع حسب رؤية كل فرد لها، وحسب سياقاتها التي تتوافاها، فلا حدود زمنية مثالية مطلقة لحدث ما في زمن ما ؛ لأن المعادل الزمني في رؤية فرد من الأفراد لحدث

ما في زمن ما قد يظهر بِنِسَبٍ متباينة عند شخصٍ آخر، بل قد تتباين نظرة هذا الحدث عند الشخص نفسه في وقت آخر وهذا ما تؤكده نظرية النسبية الزمانية عند آينشتاين.

فما نقول به من سياق حدودي للزمن، ما هو في حقيقته إلا سياق تقريبي ليس ذا قيم معيارية ثابتة، ولهذا فقد ارتأيت – في هذا البحث – أن أستظهر النسبية الزمانية في العمل النَّصي.

مشكلة الدراسة :

تتحدد مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية:

- هل الزمان الأدبي ارتدادي ؟.
- هل تتصادم الأزمنة في العمل الأدبي؟.
- هل الانفعال له دور في نسبية الزمان أو انزياحيته ؟.
- هل للنسبية الزمانية آثار تعكس صورتها الفكرية المختلفة لدى كل فراد؟.

فرضيات الدراسة:

إن تحقيق النسبية في الأشعار العربية يتقاسمها العديد من الاتجاهات، وتسهم في توضيحها وبيان ماهيتها الكثيرُ من النصوص، مما جعل الباحث يقدم عدداً من الفرضيات التي قد توصله إلى نتائج، تقوم على ركائز ودعائم عربية خالصة :

الفرضية الأول: يمكن الوصول إلى أثر نسبية الزمن عند الإنسان العربي القديم من خلال الشعر العربي الغنائي ومدى ارتباطها بحياته اليومية، بمعنى هل العربيُّ يجعل الأمور اعتبارية في حياته لم يتخذ فيها الشكل الحازم أو الأمر الجازم؟.

الفرضية الثانية: قد تُوحي القيمة الدلالية الزمنية بأنها قيمة نهائية، والإطلاق الزمني فيها نسبي.

الفرضية الثالثة: قد يكون هناك تغيرات في محدودية الزمان في نظر الإنسان العربي في الحاضر، عنها في الماضي، نظراً لسرعة العصر وحراكيته الجديدة المتطوِّرة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع في تشكيل الزمان للنقاط التي تؤثر في نفسية الشاعر، وتؤثر في الحدث والمكان، الثلاثي الذي لا ينفصل (ثالثة الأثافي)، وهي إشكالية أساسية في العمل الأدبي شعرا كان أو نثرا، حيث يصير الزمان نسبيا يزيد وينقص كالإيمان عند أهل السنة، ويتحرك من المستقبل إلى الماضي، ومن الماضي إلى المستقبل، كما سنرى في صلب البحث.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أثر النسبية الزمانية على الإنسان العربي وبيان محدوديتها ومعرفة أنواعها، وبيان مخاطر بواعثها من الغضب والحزن أو السرور والسعادة، مما تجعله قد لا يراعي الحدود الزمانية الكونية أو الوجودية، ومدى ارتباطها بسيكولوجية الإنسان، وبيان ذلك في نماذج متعددة من الشعر العربي عامة، ومن أشعار العشاق خاصة، بحثاً عن الغاية المثلى في التعاطي مع النص الأدبي، والاستغلال الأمثل للتفاعل مع الحياة.

منهج الدراسة:

اعتمدت في دراستي لهذا البحث على المنهجين النفسي والفني، للإسهام في الكشف عن هذه الظاهرة، واستحضار العلاقة الوطيدة بين الجانب النفسي والجانب الزمني للأدب.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات متنوعة عن الزمان منها البحث الموسوم بـ " مستويات الزمن عند بشار " د/ وجدان صادق صدام، وآخر، في مجلة جامعة البصرة،

تحدثا فيه عن قضية الاسترجاع والاستباق، وبحث موسوم بـ " الزمن في شعر النابغة الذبياني، د/ أوراس نصيف جاسم محمد، جامعة النهرين، تحدث فيه عن الزمن من خلال الوقفة الطللية، ومن خلال الممدوح، والزمن الأسطوري، والزمن من خلال ثنائية الحياة والموت، وبحث بعنوان " الزمن في شعر أبي تمام "د/ عاطف عبد اللطيف السيد، تحدث فيه عن مفهوم الزمن، وعن المفردات التي تناولها الشاعر للزمن،... وغيرها من الكتب الفلسفية والعلمية والأدبية، إلا أن هذه الدراسات السابقة لم تتناول النسبية الزمانية وأثرها في الشاعر، وظهور الأنا الضِّمنية في مضامينه وإيحاءاته.

حدود البحث:

جاء البحث في مقدمة ومحورين وخاتمة، في المقدمة: بينت دوافع اختيار هذا الموضوع، وأهمية دراسته، ومشاكله، وفرضياته، والهدف منه، وحدوده، وفي المحور الأول: تحدثت عن **النسبية الزمانية بين الدلالة والفرضية**، ثم تناولت في المحور الثاني: **النسبية الزمانية في أشعار العشاق**، الذي تضمَّن أربعة بنود، الأول (التباطؤ الزمني)، تناولت فيه تحليل النسبية الزمانية المتباطئة، وفي الثاني (التسارع الزمني) تناولت فيه تحليل النسبية الزمانية المتسارعة،: وفي الثالث: (انعدام الزمانية)، تحدثت فيه عن توقف الزمن وسكونه، وفي الرابع: (الزمان الانسيابي) تحدثت فيه عن الحركة الطبيعية للزمان وما بها من نسبية، وفي الخاتمة عرضت لأهم النتائج والتوصيات التي استخرجتها من البحث، والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما عرضت.. فهو حسبي ونعم الوكيل.

المِحْوَرُ الأَوَّلُ
النِّسبِيَّةُ الزَّمَانِيَّةُ بَيْنَ الدَّلالَةِ وَالفَرضِيَّةِ

يعد الزمان واحدا من أهم المضامين الأدبية داخل العمل الأدبي، وَصَفَه هيدن وايت Hidn Wait ، بأنه " أهم عملية تأليف بين النظرية الأدبية والنظرية التاريخية أُنْتِجَتْ في قَرنِنا هذا "(١).

أما النِّسبية، فهي مصدر صناعي، لها معان كثيرة ذكرتها المعاجم، وأقرب المعاني المقصودة في البحث هي "الإضافة "، فالدلالة النسبية هي الدلالة الإضافية والاعتبارية، تعني أن المعاني المطروحة في الأبيات المرتبطة بالزمن ليست على حقيقتها، فهي غير ثابتة، وليس لها حيز معين نستطيع من خلاله أن نحدد ماهيتها، فهي تُخبرنا عن نسبية الزمن، وهي – في حقيقتها – غير مطابقة للواقع وغير محدودة.

فالنظرية النسبية لمفهوم الزمان التي وضع أسسها ومعطياتها الفيزيائي الشهير " **ألبرت آينشتاين** "، ومدى تأثير هذا المفهوم على دلالات النصوص الشعرية، هي محط رحال بحثنا.

ظهرت ثورة النسبية بين عامي (١٩٠٥– ١٩١٥م) وهي تقوم على فرضيتين:" أولهما: أن القوانين الفيزيائية تبقى كما هي في أي مرجع قصوري متحرك بسرعة ثابتة، بينما تقول الفرضية الأخرى: أن سرعة الضوء في الفراغ تبقى دوما ثابتة، بغض النظر عن سرعة المصدر الذي انطلقت منه، أو سرعة الراصد لها "(٢)، وهذا يترتب عليه " إلغاء مطلقية الزمان وإفراغ مفهوم (الآنية) من معناه، فلا يوجد حسب النسبية حدثان متزامنان مادام يفصل بينهما مسافة، فما يحدث الآن بالنسبة لك يحدث بعد حين أو قبل حين بالنسبة لغيرك"(٣).

فهاتان الفرضيتان تهدفان أن الزمان غير ثابت، يختلف باختلاف المرجع (وهو الجانب النفسي للحدث)، لذا فلا حركة زمانية مطلقة ولا سكون مطلق، فالمرجع يتسارع أو يتباطأ حسب الحركة الزمانية المرتبطة بالمبدع،" ففي ظل هذا التصور للزمان الذي تقترحه النسبية، فإن الماضي والحاضر والمستقبل يكون متعلقا بنا نحن دون الله سبحانه وتعالى، فنحن الذين مررنا بالماضي، ونحن الذين نعيش في الحاضر، ونحن الذين ننتظر المستقبل، أما الحق سبحانه وتعالى فالجميع لديه سواء ؛ لأن أزليته محيطه بذلك كله "(٤)، فهذه الأزمنة الثلاثة نسبية بالنسبة لنا، فما يحدث لك الآن قد يحدث لك في زمان مماثل، ولكنه مختلف في القدر النسبي حسب الأثر النفسي الذي تعاقب من الحدث.

فالزمان النسبي المتعلق بالجانب النفسي يمثل الأثر الأكبر لدى المبدع، فيجعله يُغَيِّر مجريات الأزمان ويحذف من أوقاتها أو يزيد، وربما وقف الزمان في نفسه ثابتا دون حِراك ؛ ليعبر عن إدراكات حسية لديه، يقول ابن قتيبة: " للشعر أوقات يُسْرِعُ فِيها أَتِيُّه، ويَسْمَحُ فِيهَا أَبِيُّهُ، منها أوَّل الليل قبل تغشِّي الكرى، ومنها صدر النهار وقبل الغداءِ،.... ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب "(٥)، ويوصى أبو تمام أبا عبادة البحتري فيقول: " يا أبا عبادة تخيَّر الأوقات وأنت قليل الهموم، صِفر من المغموم، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السَّحَر، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة، وقسطها من النوم،...."(٦).

ولكن ما ذكره ابن قتيبة وما وصَّى به أبو تمام أبا عبادة اجتهادا ليس أكثر، قائماً على كثرة التجارب وممارسة الشعر، ولكن النسبية في الأزمان تؤكد أن الإدراك الحسي للمثير الخارجي والوجدان الداخلي عند الشاعر أو

الكاتب ومدى أثرهما بالحزن أو الفرح لهما الأثر الحقيقي في التأليف، فقد يتباطأ الزمان أو يسرع أو يقف حسب حالة الشاعر دون الارتباط بمحدد زمني، فالنسبية نزيلة الطبيعة النفسية تتراوح بين الحالة النفسية والطاقة المزاجية، في صورة يحملها الخيال، مما يؤدي إلى اعتصار النفس وتكثيف جاذبيتها وتكسُّب الذوق في أي حين أو وقت، فالمثير الخارجي والحس الداخلي للمبدع هما المرجع، فقد تكون الهموم أدعى للتأليف، وقد تكون الراحة أدعى للخمول.

فالزمان النسبي من العناصر الأساسية في العمل الأدبي باعتباره الشكل الذي تخضع له الأحداث والأمكنة ؛ لما بينهم من تفاعلات وتداخلات تتقاطع وتتقابل داخل العمل الأدبي، لذا تنقسم دلالتُه إلى:

نسبية الزمان العقلانـي: وهو ما يستند إلى عِلَّةٍ حقيقية، يقبلُها العقلُ، تتماشى مع ترتيب الزمن، فاسترجاع الزمن بالعودة للماضي المتروك أو استشراقه بالبحث عن المستقبل في زمن لم يُطرق ؛ ما هو إلا تعبير عن أحداث حقيقية متصارعة بداخله ؛ لذا تختلف مساحة العرض الزمني عند كل شاعر لتعبر عن هذه النسبية، فقد يحمل الحدث النسبية للأزمنة الثلاثة في آنٍ واحد، فيدل على الماضي والحاضر والمستقبل بمنطوق زمني واحد، لوجود دلالة لفظية أو معنوية في السياق، فعندما تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:(٧)

يُـؤرِّقُنِي التَّـذَكُّرُ حِـينَ أُمْسِـي فَأُصبِحُ قَد بُلِيتُ بِفَرطِ نُكْسِي

يُـذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمسِ صَخْرا وَأَذكُـرُهُ لِكُـلِّ غُـرُوبِ شَـمْسِ

وتقول أيضا تبكي صخرا: (٨)

أَبْكِي لِصَخْرٍ إِذَا نَاحَتْ مُطَوَّقَة حَمَامَةٌ، شَجْوَهَا، وَرْقَاءُ بِالوَادِي

فلقد جاء تكرار الأحداث في هذه الأبيات حسب الحالة النفسية، فيتكرر حدث (التَّأَرُّق) كل مساء، ويتكرر (التَّذَكُّرُ) عند طلوع الشمس في كل صباح، ويتكرر (الذِّكرُ) عند كل غروب، ويتكرر (البُكاءُ) عند نوح كل حمام شجوه، فالزمان الحاضر هنا (يؤرق، يذكر، أذكر، أبكي) يدل في سياقاته الثلاثة على أن الحدث يتكرر مع الدوام والاستمرار والتجدد في الأزمنة الثلاثة المتراكمة منذ (الماضي، وفي الحاضر، وفي المستقبل)، ليدل دلالة واضحة على النسبية الزمانية العقلانية غير المقيدة.

وقد تكون النسبية الزمانية ذات دلالة حُرَّة غير مقيدة، تحمل كافة الأزمنة أو تحمل زمانين مختلفين، يقول مسلم بن الوليد (صريع الغواني): (٩)

تَجْرِي مَحَبَّتُهَا فِي قَلبِ عَاشِقِهَا جَرْيَ السَّلامَةِ فِي أعضَاءِ مُنْتَكِسِ

فالزمان الحاضر في قوله (تجري) يحمل الدلالة النسبية للتراكم الزمني، فهو يدل على المستقبل، ويدل على الماضي أيضا ؛ لأن الشاعر يصف حالةً داخل قلب عاشق، ويصف ما يعانيه في زمن الحاضر والمستقبل، لوجود دلالة معنوية، وهي استمرار المحبة، مما جعل المعاناة تستمر أيضا بلا محدودية زمانية ولكنه مقبول عقلا.

ونقفز إلى العصر الحديث لننظر النسبية العقلانية وتدفقها تدفقا حقيقا يموج بالوقت والحياة، فالشاعر محمود درويش يشد أوتار الزمن، ويعزف على ديباجته الرنانة في قصيدة " أحمد زعتر " من ديوان " أعراس " فيقول فيها متمثلاً الزمان الذي يمر في عتمة: (١٠)

- في كل شيء كان أحمد يلتقي بنقيضه
- عشرين عاما كان يسأل
- عشرين عاما كان يرحل
- عشرين عاما لم تلده أمه إلا دقائق
- في إناء الموز، وانسحبت.

اعتمد الشاعر هنا على تكرار الوحدات الزمانية الطويلة (عشرين) التي تعبر عن معنى الاسترجاع، ليعبر عن وحدة زمانية متسارعة ظهرت إلى الدنيا في (دقائق)، التي بها يشير إلى وحدة زمانية قصيرة ؛ لتحمل الأبياتُ النسبيةَ الزمانية بين الماضي والحاضر والآني والآتي وحركة أنفاس الزمن المستمرة.

ويقول محمود درويش في قصيدة " كان ما سوف يكون " التي تعني الإيحاء بالتثاقل الزمني: (١١).

- في الشارع الخامس حياتي، بكى، مال على السور الزجاجي
- ولا صفصاف في نيويورك، أبكاني
- أعاد الماء للنهر، شربنا قهوة، ثم اقترفنا في الثواني
- منذ عشرين سنة
- وأنا أعرفه في الأربعين، وطويلا كنشيد ساحلي وحزين.

فلقد تثاقل الزمن منذ عشرين سنة، والعمر ثابت عند الأربعين رغم مرور الزمان، ليصوِّر اعتماد الشاعر في قصيدته على الارتداد الزماني أو الثبات ليعبر عن مدى الحزن والغموض، فالشاعر هنا يُحدِثُ تَغييراً في البنية الزمانية العقلانية ؛ لأنه يترجم الزمان ويصف الملامح حسب ذوقه وإحساسه

ليضيف الرؤى التي تعبر عن عالم داخلي مغلق عبر فضاء دلالي معتمد على النسبية الزمانية الارتدادية.

فالزمان النسبي هنا هو البديل للزمان الحقيقي كلما استعصى أو رغب في عدم الحضور، حتى تتلاءم الذات والمفارقات الزمنية، وتمنح النص المعطيات الجوهرية ولا تتجاوز إلى الممقوت الذي يتناقض مع عالم الحقائق، ومع كل ذلك يبقى " الزمان القابل للقياس هو الأساس الموضوعي للزمنية "(١٢).

- **نسبية الزمان اللاعقلاني أو (اللازمان):** وهو الذي يجعل حادثا بعينه ماضياً أو حاضراً في مشهد واحد يتطابق مع النسبية ولكن تتلاشى معه العِلَّةُ الحقيقية، ويفقد التراتب الزمني، فلا يَقبلُه العقلُ، وتظهر فيه إشكالية اتجاه الزمان وترتيبه، فالحس المشترك لا يستطيع الصعود إلى مستوى التجريد الذي بلغه زمان النسبية، فاشتهر عنه قابليته للارتداد.

فلقد استمرت لا عقلانية الزمن مرحلة طويلة في القرون الأولى وما قبل التاريخ، وما تحمله من أساطير وخرافات وغيرهما، ولم تقلّ حدَّتُها إلا في العصر الحديث الذي " كان تحديدا جديدا وخطيرا يُلزم الزمان اللاعقلاني بإعادة ترتيب أوراقه، وبعث حياة جديدة تجعله أكثر إنسانية "(١٣).

جاء في الزجل الشعبي: (١٤).

- كان هناك سيدة اسمها شوء
- تسبق في سيرها الضوء
- خرجت تقضي حاجة لها بالأمس
- ....
- فعادت إلى بيتها أوّل أمس

فالتراجع الزمني في النص السابق، وعدم تراتبه، لأنه لم يتجاوز نقطة التعيين، معتمدا على الارتداد النسبي إلى الخلف، حرصا منه على عدم قبول التغيير الحقيقي العقلاني لمرور الزمن إلى الأمام، يعرف بالزمان النسبي اللاعقلاني.

ومما لا شك فيه أن النص الشعري السابق يحمل قيمة تأثيرية بين حركاته الإيقاعية المتعايشة بين موجات الكلمات التي تعيش بين الحاضر الآني وبين موسيقى الماضي وما تحمله من مقارنات بخصائص الزمان، ندرك تلك العلاقات الزمانية المتراجعة في نطاق بصري ملموس (تسبق في سيرها الضوء) لتعبر عن التسارع الزمني اللامعقول داخل الكيان الإنساني.

وتقول نازك الملائكة في قصيدة "دعوة إلى الأحلام ": (١٥).

- سنحلُم أنَّا نسيرُ إلى الأمسِ لا للغدِ.
- وأنَّا وَصَلْنا إلى بابلٍ ذاتَ فجرٍ ندِ.

وتقول في قصيدة " أول الطريق ": (١٦).

- سنمحو الزمانْ.. وننسى المكانْ
- هناك ونَقْسُمُ ألا نعودْ.. إلى أمْسِنَا المنطوي.. سِرْ بِنَا!.

وتقول في قصيدة " لعنة الزمن ":(١٧).

- والغدُ والماضي والدنيا وهوانا في تلك الأحداق
- رَسبَتْ وتوارتْ في الأعماق.

فنازك تلجأ في هذه الأبيات " إلى دائرة اللازمان،..... وهي منطقة يتعطل فيها حكم الزمن، وتتخذ منها صفة الكمال والخلود "(١٨).

فنازك هنا تُعبر تعبيرا نفسيا ونسبيا، إذا كيف (نسير إلى الأمس – أو نمحو الزمان – وكيف توارت الأزمان.....) ؟، وإنما هي نسبية زمانية

لاعقلانية، مرتبطة بالحالة الشعورية التي تعتري الإنسان مع إحساسه بالاستسلام أو اليأس أو الرغبة في التجديد مثلا، فالزمان هو " الوسيط الدائم في الأدب كما هو في الحياة "(١٩).

فاللاعقلانية في النص، والارتداد الزمني، وعدم التراتب الذي لا يتناسب مع الامتداد الطبيعي للتزامن، يؤكد غياب سببية العقل التي ترتبط بالمبررات والمحاور الحقيقية، لأن " سببية العقل مستبدلة من سببية الوقت، هنا تُلحظ أهميةُ الزمن المراد على الزمن المعاش "(٢٠)، والزمن المراد هنا يفقد المبررات العقلية التي تحمل أثر الحقائق، " لأن الزمن المعاش يمدُّنا بمادة الذكريات "(٢١).

فالحياة تحمل نوعين من الزمان،هما: الزمان الحقيقي الذي هو مَجرَّةُ الكَون الوجودية المحدودة الحيز، والزمان النسبي الذي هو يُدرك بواسطة الأفراد حسياً أو شعورياً في كينونتها المغلقة.

فـ " الزمن مقترن بالكون والوجود والأحداث، وهو إلى هذا موجود في مفردات وصور عديدة... فعلاقة الإنسان بالزمن لا تقف عند حدود المصطلحات"(٢٢).

"ويبدو أن الأروبيين في نظرتهم للزمن المطلق لم يتمكنوا من التمييز بين الزمن الإلهي الغيبي وبين الزمن النسبي الدنيوي كما فعل سابقوهم من المتكلمين المسلمين"(٢٣).

لذا الأزمنة لا تتصادم، ولكنها قد تتلاقى في لحظة واحدة، ففي لحظة من لحظات الحاضر قد يسترجع المبدع بذاكرته حدثاً ما – كما بدا في أبيات الخنساء السابقة – فتتلاقى الأحداث في زمن واحد وتتلاشى الأزمان دون

تصادم، " فقد ظهرت التعددية الزمانية مع النسبية، فبالنسبة إلى النسبية ثمة عدة أزمان تتوافق " (٢٤).

- **دلالة النسبية الزمانية في الحِكم والأمثال:** وإذا انطلقنا إلى غرض من أغراض الشعر وفن من فنونه النثرية، وهو (الحكم والأمثال) نجد أن الإطار الزمني فيها نسبي غير محدد، صالح لكافة الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، فهو إطلاق نسبي يتغير بتغير المثيرات النفسية التي تُعطى للعقل، أو حسب التجربة التي تخضع لما هو ممكن أو غير ممكن دون مغالاة أو انقلاب على مسار الطبيعة أو خروج عن خلقتها ونشأتها دون تقييد للكينونة الحسية أو الإدراكية، يقول الحطيئة: (٢٥).

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ

فالحكمة هنا مستغرقة في الزمان دون قيد، بتقدير (مَن فعل، أو يفعل، أو افعل، الآن، أو غدا) تدل على أمر حَدَثَ حَقيقةً أو حُكما أو لم يحدث، حملت الزمان المضارع لتعبر عن الماضي والمستقبل في أي مدة زمانية غير محددة بجزء بعينه.

ويقول الشاعر: (٢٦).

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرَّدا

وكأن المعنى: إذا أنت تُكرم الكريم تملكه، وإن تكرم اللئيم يتمرد، لأن الإكرام – في البيت – مرتبط بالمستقبل أكثر منه بالماضي، فالزمان هنا نسبي غير محدد، ونسبي غير مقيد، لأن الحكمة مُعلَّقَةٌ بحدَثَيْنِ، ومرتبطةٌ بوقتَيْنِ في المستقبل.

ويقول عنترة: (٢٧).

وَمَـنْ يَكُـنْ عَبْـدَ قَـوْمٍ لا يُخَـالِفُهُم إذَا جَفَـوْهُ وَيَسْتَرْضَـى إذَا عَتَبُـوا

ويقول أيضا: (٢٨).

لا يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِه الرُّتَبُ ولا يَنَالُ العُلَى مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ

فالشاعر في هاتين الحكمتين ذكر الأفعال الماضية والمضارعة، دون تقييد لها بوقت مُعين، بل أطلقها لشمولها وكُلِّيتها وصلاحيتها لكل زمان، ولما فيها من تعميم يدل على أن (من يكن، ومن تعلو) في البيتين السابقين، أفعالاً مستغرقة في طي المضارع الذي يحمل كل الأزمنة غير محدودة بجزء منها.

ويقول طرفة بن العبد: (٢٩).

سَتُبْدِي لَك الأَيَّامُ مَا كُنتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخبَارِ مَنْ لَـمْ تُزَوِّدِ

فالزمان في البيت يحمل دلالة المستقبل في الشطر الأول بقوله:(ستبدي)، وكان المتوقع في الشطر الثاني أن يحمل نفس الدلالة، فيقول (وسيأتيك)، ولكن الشاعر عدل من المستقبل إلى الحاضر، لأن (السين) الواردة في قوله (ستبدي) التي تدل في معظم استعمالها على الزمان المستقبل القريب، تأتي هُنا للنسبية الزمانية التي تدل على زمنٍ ما في المستقبل، قد يكون قريباً أو بعيداً أو غيرهما دون قيد.

والزمان الماضي الذي احتوى عليه البيت (كنت جاهلا)، أورده الشاعر دون قيد بمدة محددة، عمد الشاعر فيه إلى النسبية والإطلاق في مقدار الجهل والزمان ؛ ليصل به إلى قيمة فنية ودلالية خاصة أشمل من التقييد، فما جاء من معنى داخل البيت يحمل التعميم، الذي يؤكد على استغراق هذا الفعل في الزمن الماضي، القريب أو البعيد أو المستمر أو غير ذلك، مع احتماله معنى

المضارع أيضا (أي: ما تجهله)، لأنه لم يحدد بقرب حدوثه أو ببُعده، وبـذلك تتحقق خاصية النسبية الزمانية لهذه الأفعال.

ويقول شِمْرُ بنُ عَمْرٍو الحَنَفِيُّ: (٣٠).

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِيْنِي

فلقد جاء الشاعر بالزمن المستقبل (أمرُّ) وهو في معنى الماضي، لقولـه (مضيتُ)، وكأن البيت:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ فَسَبَّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِيْنِي

فالماضي ينصرف إلى معنى الحال في هذه الأزمنة التي صـدرت فـي الماضي والمراد الحال والمستقبل، ولقد وقعت من الشاعر في الماضي للدلالة على التأكيد والثبات والاستمرارية، فالنسبية هنا تحمل المعنى من الماضي إلى الحال والمستقبل والعكس.

ويقول ابن يدون: (٣١).

وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخشَى تَفَرُّقُنَا فَاليَوْمُ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلاقِينَا

فلقد عبَّر الشاعر بلفظ (نكون) عن الزمان الماضي ؛ لأن الشاعر يقـارن بين حالين، حاله مع محبوبته في الزمان الماضي، وحاله معها في الحاضـر (فاليوم)، فدلت النسبية الزمانية في الشطر الأول على الماضي مع تضـمّنها الزمان المضارع في لفظها، ودلَّ الشطر الثاني على النسبية الزمانية للمضارع دون تقييد ؛ لأن لفظ اليوم الوارد في البيت غيرُ مقصود لذاته.

وكذلك الأمثال، فلو نظرنا إلى قول أكثم بن صيفي " مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ "(٣٢)، فالفعل الماضي هنا في تأويل الاستمرارية المتجددة التي تحمل معنـى

الحاضر والمستقبل، وكأنه يقول:(من يجهل شيئا يُعاديه)، فالمعـــاداة موقوفـــة على الجهل في كل زمان وحينٍ دون التقيد بزمان بعينه، فالنسبية هنا واضحة.

وجاء في جمهرة الأمثال " مَنْ يَنْكَحِ الحَسْنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا "[٣٣]، فالمثل هنا قائمٌ على تكثِّيف العلاقة الزمانية، يحمل زمانا نسبيا يتشاكل مع الحدث مُرتبطاً بقَيدٍ، فيتحقق التناظر بين رؤى النسبية الزمانية الـــذي يجمـــع بـــين الثنائيـــة المضارعة في هذا الحدث وبين الذات المشتَغِلة به في كل زمان مالم يتم تقييده بقرينة، وما النسبية هنا إلا لدلالة وقيمة تحملها اللغة العربية دون غيرها مـــن اللغات الأخرى.

إن النسبية الزمانية في الحكم والأمثال وما تحمله من جوانب اجتماعيـــة، إنما هو تحول في رؤية الأبعاد والدلالات، فالاحتكام إلى الأفعال الواردة فـــي النص يجعل الرؤية مختلفة من فرد لآخر ومتفاوتة في التوقيت الزمني لهـــذه الأحداث التي تتحول نسبيا، فالزمان يبدأ من المركز وهو حال المتكلم، وينطلق من الحال باتجاه الماضي ثم المستقبل بشكل دائم ومستمر[٣٤]، يكتسب تحولاته الزمانية من سياقاته بملازمة القرائن اللفظية أو المعنوية، ويعزز ذلك توافقُـــه وانسجامه مع إمكانات اللغة ؛ لأن الاختلاف في رؤية الزمن وتحولاتـــه مـــن الماضي إلى غيره هي رؤية نسبية بين الأفراد، فالأحداث تعتلي وتتبوَّأ قمـــة هرم التركيز الذهني، ولهذا فرؤية الزمن نسبية عند العربي قائمة على الحدس والتخمين، والاعتماد الأكبر والتَّثَبُّتُ يكون للحدث (المثير) المسبب لهذه النسبية المرتبطة بالعالم الداخلي للمبدع، وربما تعسَّر التفريق بينها وبين الحدث ؛ لأن كليهما حمَّال للمعنى مكمل له، لذا الانسحاب الزمني يكون نسبيا بالاتجاهـــات الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل).

فالنسبية الزمانية –إذن – شكل تعبيري متغير غير ثابت، يُفصح عن حال الإنسان إزاء حقائق ظاهرة أو غير ظاهرة ألجأته إلى القِناع، مع التلاعب بفنون اللغة ودلالتها المُعَجمية، وهي حالة من حالات التقمص الشعري والانصهار النفسي على حد سواء، وهو ما ينفي عن الشعر مجانبته للمنطقية، فهو منطقي ولكن بشكل أدبي خاص يُحاكي شكلا آخر بالتعاقب الزمني والتماثل والتوالي عبر التمثيل الوجداني على المستوى الزمني.

المِحْوَلُ الثَّانِي
النِّسبِيَّةُ الزَّمَانِيَّةُ فِي أَشْعَارِ العُشَّاقِ

النسبية الزمانية تتوقَّد حرارتها في ضوء ما تحمله من إيحاءات بين الحدث الذي هو عين الفكرة، والمكان الذي يضم الذكريات، والزمان الذي يفوح بإدراكات حسية ونفسية تعمل على تصوير أو رسم المشهد الشعري.

فالعمل الأدبي كتلة وجدانية تُمثِّل النفس وما يثيرها من مثيرات خارجية أو داخلية، فتتخلَّق الشحنة التي أورثها الزمان، فـ "الشعر إذن هو نتيجة عملية خلق، متناسبة مع النسيج الزماني أو أثر الزمن في النفس والقصيدة التي يبدعها الشاعر إنما تتوافق مع الحال السيكلوجية، أو تتناسب مع الزمن السيكلوجي ؛ لأنها تأتي نتيجة شحنات عاطفية، ودفعات وجدانية مُحمَّلة بالتراكمات الزمنية "(٣٥).

فالزمان عند الشعراء العشاق – وأخص منهم العذريين أمثال مجنون ليلى، وقيس لبنى، وكثير عزة – يعبر عن كتلة متوهجة من العواطف والشعور، تحمل دلالات وتحولات ذهنية لقضية الزمان الثبوتي أو المتباطئ أو المتسارع حسب حالات وأحوال العشاق، وجعله زمانا متحركا، يحمل الشعور والأحاسيس الملتهبة ليصنع الانزياحات الخاصة التي تتلاءم وتتلاحم مع الأحداث لاستنطاق ما بها من عشق.

ولقد احتوت النسبية على أربعة أنواع زمانية في شعر العشاق الذين أضناهم الفراق والهجر، وأمرضهم الوجد والبُعد، ولقد جاءت في البحث على النحو التالي:

- **أولا: التباطؤ الزماني:** وهو الذي يمر الزمان فيه ويتحرك ببطء حسب رغبة الذات، من خلال خلفيات زمنية عميقة أوحت بها الكلمات، يكمن فيها –

غالبا – الشعور بالقلق والتوتر حينا، أو الخوف من المصير المحتوم للعاشقين حينا، أو الضنى واللوعة حينا آخر.

وهو زمان ذو كثافة عالية يعكس الحالة النفسية المضطربة التي يعيشها الشاعر، وما يحمله من ثنائية مزدوجة، بين الجانب النفسي الداخلي الذي يفور بالغليان والقلق والتوتر، والجانب الزمني غير الحقيقي بصورة محدودة قابلة للقياس ؛ لأن النتيجة بين الحدث والزمن غير حتمية بسبب التوتر القائم على حيثيات زمنية حركتها تموج بالاضطراب فتتسع وتضيق حسب ما خلقته العاطفةُ النفسية.

يقول قيس بن الملوَّح (مجنون ليلى): (٣٦).

أيا ليلَ ما للصبح منكِ بعيدُ وإني لمحزون الفؤاد عميدُ
أُراعِي نجومَ الليل سهرانَ باكياً قريحَ الحشا مني الفؤاد فريدُ
بِحُبِّكِ يا ليلَى ابتُليتُ وإنَّني حليفُ الأسى باكي الجفونِ فقيدُ
لقد طالَ ليلي واستهلَّتْ مدامعي وفاضتْ جُفوني والغرامُ يَزيدُ

فالشاعر هنا يبتعث الزمان الذي مضي من خلال الاسترجاع الذي يلح على عواطف الشاعر ؛ لأنه يحمل أفراحه وما ألمَّ به.

والسؤال هنا... هل الزمان – في هذه الأبيات – محدد بليال بعينها أو قدْرِها، أم يخاطب الشاعر عدة ليال غيرُ معروف عددُها وينتظر صُبحا حقيقيا، أم الليالي هنا رمز للهموم التي طالت، فهو ينتظر خروجَ صُبحٍ غير حقيقي متمثل في جلاء الهموم والأحزان حتى ولو تنحَّ الصبح في طليعة كل فجر ؟!

والحقيقة: أن الزمان هنا يحمل رمزيَّةَ الماضي التي تتشبع بعلاقات مقرونة بالتذكر، مُكنِّياً عن نسبية الزمان بتعبيراته المتغايرة، فلقد طال ليله كأنه راع لنجومه، والليل لم يزد في حقيقته عن زمانه الفلكي المحدد من قبل الواقع الكوني، ولكنه طال على الشاعر وامتدد حسب حالته التي تفيض بالدمع حزنا على هجرها، فـ " لا نجد في الزمان طولاً إلا عندما نجده طويلاً "(٣٧).

ويقول مجنون ليلى عن طول الليل أيضا: (٣٨).

شكوتُ إليها طولَ ليلي بعَبرةٍ فأبدتْ لنا بالغُنْج دُرّا مُفلَّجا

ويقول المجنون في المعنى نفسه: (٣٩).

فلا البُعد يُسليني ولا القربُ نافعي ولَيلي طويلٌ والسهاد شديدُ

ولم يكتف امتداد الزمان على المجنون ليلا فحسب بل امتدد نهاره أيضا فيقول واصفا زمان الهجر والبعد: (٤٠).

نهاري نهارٌ طال حتى مَلِلْتُهُ ولَيلي إذا ما جَنَّني اللَّيلُ أطولُ

وكُثَيِّرُ عَزَّةَ من الشعراء العشاق الذين شغلهم مرور الزمان، يقول معبرا عن النسبية الزمانية واصفا أياما ولياليا بهن الطول: (٤١).

ولي منك أيامٌ إذا سخط النَّوى طوالٌ، وليلاتٌ تزول نجومُها

كما انكبَّ كُثَيِّرُ لما دُفنت عزةُ على قبرها وهو يقول واصفا امتداد الزمان وتباطُؤَه: (٤٢).

فإنَّ التي أحببْتُ قد حالَ دونَها طوالُ الليالي والضَّريحُ المُصفَّحُ

أَربَّ بعينَيَّ البُكا كُلَّ ليلةٍ فقد كاد مجرى الدمع عينيَّ يقرحُ

وهناك ترابطات قوية بين الزمان وعلاقاته عند قيس لُبنى ومرجعياته، فلا مجال للزمانية الفلكية المنتظمة، وبالتالي لا مجال للقيد الزماني، بل المجال للنسبية المتنوعة بين الطول والقصر، فمدة رد الفعل بعد الهجر والفراق لا يناسبها الزمان المنتظم، بل تحتاج الحالةُ النفسية والنرجسية إلى زمان أطول، يقول قيس لبنى: (٤٣).

إِلَى اللهِ أَشْكُو مَا أُلاقي مِنَ الهَوى وَمِنْ حُرَقٍ تَعْتَادُني وزَفِيرِ

ومِن حُرَقٍ للحُبِّ فِي بَاطِنِ الحَشَى وَلَيلٍ طَوِيلِ الحُزْنِ غَيْرِ قَصِيرِ

فالنسبية الزمانية هنا عند قيس تعزز المدلول النفسي، الذي يدل على الحزن الدفين الذي انغلقت عليه نفسه زمنا ممتدا، حتى آلت نفس الشاعر إلى ما آلت إليه من حرق ولهب وواقع مرير.

ويقول قيس لبنى معبرا عن التباطؤ الزماني متأسِّياً بأسلافه من شعراء العصر الجاهلي: (٤٤).

سَلِي الليلَ عني كيفَ أَرْعَى نُجُومَهُ وكيفَ أُقَاسِي الهَمَّ مُسْتَخْلِياً فَرْدا

إن اعتماد الشاعر هنا على ماهية الزمان، وجماليات النسبية الزمانية، للكشف عن جوهر الرؤية الشعرية، ينبض بالواقع وما مضى منه، فالشاعر يعرض صورة الليل التي تمثل إدراكه ومشاعره، وتحمل إشعاعاً زمانياً خاصاً لما هو آت.

فالتباطؤ الزماني وانزياحه النسبي عند الشعراء العشاق كثير ولكنه ليس مبتكرا، فلقد كان لشعراء العصر الجاهلي السبق في الحديث عن تثاقل الليل وتماديه وطوله طولا نسبيا يتماشى مع الحالة النفسية، يقول امرؤ القيس: (٤٥).

وليلٍ كمَوْجِ البَحرِ أَرْخَى سُدَولَه عَلَيَّ بأنواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّويلُ أَلَا انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

ويقول النابغة الذبياني: (٤٦).

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيمةُ نَاصِبِ وَلَيلٍ أُقَاسِيه بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
تطاولَ حتَّى قُلتُ ليس بِمُنقضٍ وليسَ الذِي يَرْعَى النُّجومَ بِآيبِ
وَصَدْرٍ أَرَاحَ الليلُ عَازِبَ هَمِّهِ تَضاعفَ فِيه الحُزنُ مِن كُلِّ جَانِبِ

فكلا الشاعرين عاشا ما يعانيه من هموم وأحزان داخل مجرَّةٍ ليلية تمادى زمنها وأفرط في الطول ليُنبِئ عن مقاساة الأحزان والشدائد حتى ظنا أنها لا تنقضي لأن راعيها لا يعود، فنسبية الزمان عند الشاعرين تختلف بقدر ما يحملان من أحزان وهموم، تعود في الأصل إلى المثير الحقيقي (الحدث) والمشاعر الداخلية الكائنة منه (المرجع) ؛ لذا فالزمان هنا نسبي غير معلوم القدر أو السعة، يحمل منطق العلاقة بين المكان والحدث.

فـ" الزمان يشكل عند الشاعر الجاهلي همًّا أساسيا، فهو المدى الذي يتحرك في آناته، ويحقق فيه أحلامه وأمجاده، أو يفقد فيه الاثنين معا، فكأن عراكاً خفيّاً أليِاً يدور بين الاثنين، الزمان والشاعر، وتكون الغلبة فيه دائماً للطرف الأول "(٤٧).

فـ " مقياس الوقت في الإحساس – وفي الشعر الذي هو صورة من الإحساس – ليس هو الساعة المركبة من حديد ونحاس، وإنما هو النفس المركبة من خيال وتصور وشعور "(٤٨).

ولم تقف سلسلة التأثر، فتأثر شعراءُ العصر العباسي بالشعراء العشاق في تصوير نسبية الزمان المتباطئ، يقول أبو تمام: (٤٩).

ثُـمَّ انْبَـرَتْ أَيَّـامُ هَجْـرٍ أَرْدَفَـتْ بِجَـوىً أَسَـىً فَكَأَنَّهَـا أَعْـوَامُ

ويقول أبو تمام أيضا: (٥٠).

بِيَومٍ كَطُولِ الدَّهرِ فِي عَرْضِ مِثْلِه وَوَجْدِيَ مِن هَذا ومِن ذَاكَ أَطْوَلُ

فزمان الهجر أو الفراق يتباطأ في أيامه فتمرُّ كأنها أعوام أو كأنها أمد الدهر، مما يؤكد الأسى والحزن والوجد الذي تحمله نفس الشاعر، فالزمان تباطأ حتى حسَّ الشاعر أن الأيام القلائل أعوام طوال.

وهذا يؤكد اختلاف التعبير عن ظاهرة التباطؤ الزماني عند شعراء العصر العباسي عنها عند الشعراء العشاق، إذ أصبحت هنا عبارة عن ثنائية مكوَّنةٍ من وحدة زمانية صغيرة تَضُمُّها وحداتٌ زمانيةٌ كبيرةٌ (فأيام هجر – واليوم)،(وحدة زمانية صغيرة) تمادت وتطاولت على الشاعر حتى أصبحت (أعواما – وكطول الدهر)، وهي (وحدات زمانية كبيرة)، وما ذلك إلا تعبير عن مقدار الحزن والأسى الذي حلَّ به، وتطورٌ ملحوظ لحركة النسبية في الكشف عن أصالة التباطؤ الزمني.

فليس الشعراء العشاق فحسب الذين قهرهم الزمان ونكَّل بهم، بل جُلُّ الشعر العربي القديم يحمل هموم الشعراء، " طُف في أرجاء هذا الشعر وانظر حيث تشاء تجد الدهر، أو الزمان واقفا يترصد الشعراء واحدا واحدا يخادعهم، ويمكر بهم، وينغص عليهم صفو العيش "(٥١).

ولا يغيب أن التجاوب الإيقاعي هنا يتناسب مع عاطفة الشاعر وانغماسها في التناسب الزماني البطيء، فالحالة النفسية مليئة بالأثقال والأحمال التي عبر

عنها بأجراس زمانية طويلة وموسيقية حزينة، داخل الكيان الشعري المرتبط بالهاجس الداخلي للشاعر.

- **التسارع الزماني**: وهو الذي يمر الزمان فيه مسرعاً حسب الحالة النفسية للشاعر، من خلال صورة اعتبارية داخلية متفاوتة في القَدْر، فالتسارع في أول الحالة النفسية يختلف – بالطبع عند أي إنسان – عن المنتصف حتى النهاية، فالوقت يزيد أو يقل في التسارع كلما اقتربت النهاية، ليدخل في أبعاد زمنية متفاوتة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، ويظهر الاستغراق في دلالتها الزمانية عند كل مَن يُكْثِرُ– غالبا – السرور والحبور خاصة العُشَّاق حين التلاقي أو التَّذكُّر أو الذِّكر أو غير ذلك.

يمثل هذا المعنى الاصطلاحي قول مجنون ليلى في إحدى مقلتيه: (٥٢).

لم تـزلْ مقلـتي تفـيضُ بـدمع ... مثـل الغيـوث مـذ فقـدتْها
مقلـةٌ دمعهـا حثيـث وأخـرى ... كلمـا جـفَّ دمعُهـا أسـعدتْها
ما جرتْ هذه على الخدّ حتى ... لحقـتْ تلـك بـالتي سَـبقَتْها
دمعـةٌ بعـد دمعـةٍ فـإذا مـا ... لحقـتْ تلـك هـذه أحـدرَتْها

فهذه الأبيات تحمل المعنى الاصلاحي للزمن الاعتباري المتسارع الذي طرحته الحالة النفسية التي عليها صاحبها والظروف الخارجية المحيطة به، ولكنه يختلف من وقت لآخر ومن شخص لآخر حسب التحولات النفسية التي ألجأته لذلك.

يقول المجنون معبراً عن سرعة الزمن حين اللقاء والقُرب، وصفاء حاله مع ليلى: (٥٣).

شـــهور ينقضـــين ومـــا شَـــعُرْنا بأنصـــافٍ لهـــنَّ ولا ســـرار

ويقول المجنون أيضا حاكيا عن الأيام التي مرَّت سريعة، مسروراً بودِّها وقربها: (٥٤).

ولكـــنَّ أيـــامي بجقـــلِ عُنيـــزةٍ وبالرَّضـم أيَّامٌ جَناها التَّجاورُ

وقدْ أصبحَ الودُّ الذي كان بيننا أمـــانيَّ نَفـــسٍ، والمُؤمِّـلُ حَـــائرُ

فالزمان عند مجنون ليلى ليس زمانا غير مقصود أو اعتباطيا، بل من محركات النص الدلالية التي تصور الرؤى المتلاحمة في الماضي، وهو صورة للتعبير عن الحدث الذي تفيض به عاطفة الشاعر نحو محبوبته، ونحو خصوصية هذه الفترة الزمنية، ومكانتها المؤثرة في نفسه.

ويُعبِّر كُثَيِّرُ عزةَ عن التسارع الزماني حين اللقاء بعد الهجر فيقول: (٥٥).

وكُنتُ إذاَ ما جِئتُها بَعدَ هَجرةٍ تَقَاصـرَ يَومئـذٍ نَهـارِي وَأَغْيَمَـا

فلقد اعتمد الشعراء العشاق على النسبية الزمانية، التي تحرِّر الحدث في الذهن، فدائما يعرضون صورة الماضي التي تمثل حالتهم السعيدة والمسرورة، من أجل أن " تبعث في النص الشعري طاقة قوية لها صفة الإشعاع الحي في الحاضر كما في الماضي أو في المستقبل، وتتيح للقارئ أن يجد فيها أبعاداً جديدة ومتعددة " (٥٦).

ولقد تأثر بشعراء العصر الأموي شعراءُ العصر العباسي في تناول هذه الظاهرة، وزاد التطور في نسبية الزمان فلم تعد مقصورة على فن الغزل وما يحمله من هجر ولقاء، بل تناولها الشعراء في فن المدح، يقول أبو تمام: (٥٧).

وَلِي هِمَّـةٌ تَمْضِـي العُصُورُ وإنَّهَا كَعَهْـدِكَ مِـنْ أَيَّـامِ وَعْـدِكَ حَامِـلُ

سِـنُونَ قطعْنَـاهُنَّ حتّـى كأنمـا قطعْنَا لِقُرْبِ العَهْدِ مِنْهَا مَرَاحِلِ

فالشاعر يتصور أن السنين التي قطعها في قُربه كأنها منقطع مكاني من منزل إلى منزل، وكأنها رحيل مكاني لتجديد وعد القرب، فالبيتان يحملان النسبية الزمانية المتسارعة بين الزمان والمكان والحدث.

ويقول مهيار الديلمي: (٥٨)

وَرُبَّ سَـمِيرِ لَيْـلٍ وَدَّ أَلَّـا يُضَـيءَ عَلَـى جَوَانِبِـه النَّهَـارُ

فأصحابُ السَّمَرِ يَودُّون ألا يطلع الفجرُ، وما ذلك إلا للشعور النسبي بسرعة الليل الذي يحمل لهم سعادة اللقاء وطيب الجليس.

وقد يتطور المعنى عند الشاعر، فتصبح سرعة الزمان النسبية: عبارة عن ثنائية تَتَضَمَّنُ وحدةً زمانيةً كبيرةً احتوتها وحدةٌ زمانيةٌ صغيرةٌ، يقول المجنون:(٥٩).

تَـذَكَّرْتُ لَيْلَـى وَالسِّـنِينَ الخَوَالِيَـا وَأَيَّامَ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهْوِ نَاهِيَا

وَيَـومٍ كَظِـلِّ الرُّمحِ قَصَّـرْتُ ظِلَّـهُ بِلَيْلَـى فَلَهَـانِي وَمَـا كُنْـتُ لَاهِيَـا

فالتسارع الزمني هنا عبارة عن ثنائية تضمَّنتْ وحدات زمانية كبيرة تَضُمُّها وحدةٌ زمانيةٌ صغيرةٌ. (فالسنين الخوالي – وأيام – ويوم) وحدات زمانية كبيرة متباينة السعة، تصاغرت وتسارعت على الشاعر حتى أصبحت (كظل الرمح)، وهي (وحدة زمانية دقيقة جدا)، فظل الرمح قد لا ترمقه العين ساعة خروجه من قوسه، وما ذلك إلا تعبير عن سرعة السعادة التي عاشها الشاعر من قبل، ومقدار الأسى الذي يعيشه في الآنية، وهذا يؤكد تطور

النسبية الزمانية في معناها عند الشاعر نفسه في التعبير عن التسارع الزمني بداخله.

ويقول المجنون واصفا زمان ليلى بالمودة، وغضارة النفس، ونضارة النعمة، متمنِّياً لو يعود كله في ساعة واحدة لكان سعيدا ولو مات بعد ذلك:[٦٠].

سَقَى اللهُ أيَاماً لَسْنَ رُجَّعاً وَسَقْياً لعصرِ العامِرِيَّةِ مِن عَصْرِ
لَيَالِيَ أَعْطَيْتُ البطَالَةَ مِقْوَدِي تَمرُّ الليالي وّالسّنُونَ وَلا أدري
مَضى لِي زَمانٌ لو أُخَيَّرُ بينَه وبَين حَياتي خَالداً أبدَ الدَّهْرِ
لقلتُ ذَرُوني سَاعةً وكلامَهَا عَلى غَفلةِ الوَاشِينَ ثُمَّ اقطعُوا عُمرِي

ويقول قيس لبنى معبرا عن التسارع الزماني في هذه الصورة: [٦١].

ألا ليتَ أيَاماً مَضَيْنَ تَعُودُ فإنْ عُدْنَ يَوْماً إنَّني لَسَعِيدُ

فالشاعران يتمنيان أن تعود الأيام كلها التي مضت ولو في يومٍ واحد أو ساعة منه، فغياب التكافؤ الزمني والانزياح من الزمان الممتد الطويل إلى الزمان السريع القصير الذي يحمل سعادة الشاعر حين اللقاء، نسبيةٌ زمانية متسارعة، تمثلت في وَحَدَات زمانية كبيرة تَضمُّهَا وحدة زمانية صغيرة

وما جاء العصر العباسي حتى ظهر هذا التطور في قول أبي تمام معبرا عن تسارع الزمان: [٦٢]

وَلَقَدْ أَرَاكِ فَهَلْ أَرَاكِ بِغَبْطَةٍ وَالعَيْشُ غَضٌ وَالزَّمَانُ غُلامُ؟
أَعْوَامَ وَصْلٍ كَانَ يُنسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ

ويقول مهيار الديلمي: (٦٣)

وَمَـا أُنسِـي بآمَـالٍ طِـوَالٍ تَنَـاولهُنَّ أَيَّـامٌ قِصَـارُ

فالشاعران يتصوران أن اللقاء وأعوام الوصال الطوال يطمسها الفراق والهجر، فيشعر الإنسان أنها كانت أياما قصارا مقارنة بزمن الهجر والفراق وما يحمله من ألم ومعاناة، مما يؤكد أن السعادة التي كانت في زمان الوصل تتسارع إلى النهايات كأنها أيام قلائل، فمراحل الزمان هنا مختلفة حسب الذكريات التي تصحب النفس، والتسارع يختلف حسب أول الهجر أو آخره، فكلما مرَّت الأيام شعر الإنسان بسرعة لحظات اللقاء لما يحسه من تغيرات في نفسه تجري مع حركة التدفق الزمني ؛ لأن التسارع هنا نسبي يختلف أوله عن وسطه عن آخره وهو الأشد تسارعاً، فكلما تحرك الزمان إلى الأمام كلما زاد التسارع.

ويقول الشريف الرضي معبرا عن إحساسه نحو عهد الشباب الذي ولَّى سريعا كأنه دجنة: (٦٤)

واهـاً عَلى عَهْـدِ الشَّـبابِ وَطِيبِـه والغَضّ مِن وَرَقِ الشَّبابِ النَّاضِـرِ

واهـاً لَـهُ مِـا كَـان غَـيرَ دجنَـةٍ قَلَصَـتْ صـبابتُها كَظِـلِّ الطَّـائِرِ

ويقول الشريف الرضي أيضا: (٦٥)

يَـا لِلَيلَـةٍ كَـادَ مِـن تقارُبِهـا يَعثُـرُ فيهـا العِشَـاءُ بالسَّـحَرِ

فالنفس هي التي تحدد طبيعة الزمان من حيث الطول أو القصر، " هذه النفس قد تنظر إلى العام فإذا هو لمحة للهفتها على فواته، وقد تنظر إلى

اللمحة فإذا هي دهر سرمدي لازدحامها بالمنظر بعد المنظر والخيال بعد الخيال، إلى غير نهاية يحدها الحس ويقف عندها الاستحضار "(٦٦).

وقد يجمع الشاعر بين التباطؤ الزماني والتسارع ؛ ليقارن بين حالته السابقة التي تحمل معنى التسارع، وحالته الحالية التي تحمل معنى التباطؤ، ليعبر عن سعادة اللقاء في الزمان الماضي، وعن حزن الهجر في الزمان الحاضر أو المستقبل، يقول مجنون ليلى مقارنا بين أيامه مع ليلى وأيامه دونها:(٦٧).

عَجبتُ لِسَعْيِ الدَّهرِ بَينِي وَبَينَها فلمَّا انْقَضى مَا بَينَنا سَكَنَ الدَّهْرُ

ويقول المجنون أيضا مقارناً بين زمان الهَجْرِ والبُعد وزمان الودِّ وقُرَّةِ العين، وما يَغْشَاهُما من مُرِّ الزمان وحُلوِهِ، وطُولِه وقِصَرِهِ: (٦٨).

أَعُدُّ اللَّيالِي لَيلَةً بَعْدَ لَيلةٍ وَقدْ عِشتُ دَهراً لَا أَعُدُّ اللَّياليَا

فالشاعر هنا يقارن بين زمانين اعتباريين، يرمز بهما إلى الهجر والبين وما يحمله من ألم وحزن، وإلى اللقاء والقرب وما يحمله من سعادة وسرور.

وقال ابن بسام: (٦٩).

ليلٌ كما شاءتْ فإن لم تَزُرْ طالَ ؛ وإن زارتْ، فَلَيْلٌ قصيرُ

أصله من قول علي بن الخليل: (٧٠).

ليلٌ كَما شَاءتْ قَصيرٌ إذا جاءتْ ؛ وإن صدَّتْ، فلَيْلٌ طَويلُ

وفي هذا المعنى قال الوليد بن يزيد بن عبد الملك: (٧١).

فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أفقدُها والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاهَا

ويقول أبو تمام مادحا أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري واصفاً وقعته بالخرمية، ليجمع بين التسارع الزماني والتباطؤ ؛ ليعبر عن الأثر النفسي لشخصين مختلفين أو طائفتين متباينتين: (٧٢).

كَانَتْ عَلَى الدِّينِ كالسَّاعَاتِ مِنْ قِصَرٍ وَعَدَّهَا بَابُكَ مِنْ طُولِهَا حِجَجَا

فالشاعر يرى أن هذه الأيام كانت قصيرة على أهل الدين والمسلمين ؛ لأنهم ظفروا بالنصر، وكانت طويلة وعصيبة على بابك ؛ لما وقع به من الهزيمة والدماء.

فالانسحاب الزماني ينحرف هنا باتجاه الحدث الذي يشعر به الشاعر، في صورة أبعاد رمزية متفاوتة، وهذا الانزياح الزمني أو الانسحاب النسبي لا يتحقق بالكلمات المجردة التي تحويها معاجم اللغة في سياقها الدلالي المعروف، ولا تتحرر من أزمنتها الحقيقية الكونية إلَّا بالقرائن الشعرية المختلفة سواء بالتسارع أو التباطؤ أو بهما معا.

- **انعدام الزمانية (الثبوت الزماني):** هو الزمان الذي يضم وحدات أو فترات زمانية صغير كانت أو كبيرة، ولكنه يضم قيدا أو ثباتا يمنعه من الحركة.

ويحس الشاعر فيه بأن مقياس الوقت متوقف لا يسمع نداء منادي الزمان، ثابت لا ينزح ولا يغادر ؛ ليعبر عن نفس مكلومة يملؤها اليأس والألم، لنرى في تعابيره روعة التأمل، واستلهام الحس الزمني، رابطاً بين زمان مرغوب قد مضى وحاضر غير مرغوب، وكأن عمره ماثل هناك غير معاين في الآنية، خالد في ذاكرته، دارج بين ماضيه السعيد وحاضره المؤلم .

يقول مجنون ليلى: (٧٣).

ومَـا بَـالُ الـذين سَـبَوا فـؤادي أقَـامُوا أمْ أَجَـدَّ بِهـم رَوَاحُ

ومَـا بَـالُ النُّجـومُ مُعلَّقـاتٍ بِقلْـبِ الصَّـبِّ لـيسَ لَهـا بَـرَاحُ

فظاهرة الانعدام الزماني هنا تتمثل في صورة معنوية – كالنجوم المعلَّقة– ، تموج في إدراك الشاعر وتتعاقب في جوِّه النفسي، فهو إدراك لأشياء معنوية، واقعية ولكنها غير مرئية، تعبث بمشاعر الشاعر وتُيقِظ الماضي بقلبه وكيانه، وهو يتوافق في حبه وعشقه مع روحه وحياته.

ويقول مجنون ليلى أيضا رامزاً بسكون الأيام إلى الهجر الدائم، والبُعد الذي لا يحل له زوال:(٧٤)

فحَتَّى مَتى رَوْحُ الرِّضَا لا يَنَالِني وحَتَّى مَتَى أيَّامُ سَخْطِكِ لا تَمْضِي

ويقول كُثَيِّرُ عَزَّةَ – والبيت منسوب للمجنون– واصفا سكون الزمان ليعبر عن الهجر والفراق: (٧٥).

عَجبتُ لِسَعْيِ الدَّهرِ بَينِي وبَينَها فلمَّا انْقَضى مَا بَينَنا سَكَنَ الدَّهْرُ

فالشاعر يتعجب من الدهر الذي يحمل وجهين مختلفين: سريعٌ ساعة الوصال، ثابتٌ ساعات البين.

فالأبيات السابقة يظهر فيها شبح السكون، وفراغ الزمان، وعقم الحركة، مما يدل على اللوعة والحُرقة، ومرارة الأسى، وانكسار النفس، واحتراق الشعور، ودُمُوعية القلب، وتزداد هذه الصفات كلما أوغل الشاعر في وصفه للزمان بالسكون ؛ لارتباطه بأثره النفسي الدفين مع الهجر والفراق وثقل الأيام وثبات الحركة.

ولقد سبق العشاق إلى هذا المعنى شعراءُ العصر الجاهلي، يقول امرؤ القيس: (٧٦).

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَه بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

ولقد تأثر الشعراء عبر الأزمان، فهذا مهيار الديلمي يحاكي ليلة ثَبَتَ فيها الزمان وتوقف الوقت وامتد في مطلع قصيدته التي تحدث فيها عن الزمان بديلا من المقدمة الغزلية أو الوقوف على الأطلال، مشتغلا بالزمان الذي سكن في ليلة غير مقصودة لذاتها وإنما رمز بها الشاعر لأثقاله وهمومه، يمدح بها أبا المعالي عبد الرحيم في " النيروز "، فيقول: (٧٧).

مـا لـيلتي علـى "أُقُـرْ" إلا البُكـاءُ والسَّـهرْ
بـتُّ أظـنُّ الصـبحَ بالـ ـسَّـعادةَ ممـا يَنسـفِرْ
أَرقـبُ مِـن نجومِهَـا زَوالَ أَمـرٍ مُسـتقِرْ
رواكِـدٌ كأَنَّمـا أَفلاكُهُـنَّ لَـم تَـدُرْ
وكُلَّمـا قُلـتُ: انْطَـوى شـطْرٌ مِـن اللَّيـلِ انتَشَـرْ
أسـأَلُها: أَيـنَ الكـرَى أَيـنَ النَّهـارُ المُنتظَـرْ
وكُـلّ شَـيءٍ عِنـدَها إلا الرُّقَـادَ والسَّـحرْ
مَـنْ مُخْبِـرِي ؟ فَمَـا أَرى هَـل دَامَ لَيـلٌ فاسـتَمَرْ
وغَابـتِ الشـمسُ نَعَـمْ فَكيـفَ خُلِّـدَ القَمَـرْ

فالنسبية في هذه الأبيات تحاكيها أمواج الزمان التي تحمل أنواع الأحزان وفنون الهموم، فيتوقف فيها الزمان ليعبر عن الانعدام الحركي، ليدل على الوحشية والإفراط في الثبات لينبئ عن مقاساة الأسى والشدائد والسهر ؛ لذا يشكو الشعراء الليل الذي استطال كأن نجومه لا تزول من مكانها ولا تغرب بعد إشراقها، ليعبر عن الزمان المعدوم وما يحمله من معاناته للهموم ومقاساته للأحزان.

فالزمان المعدوم، هو زمن سكوني، ناتج عن إبداع شعري، ومقاصد نفسية أو أحوال ذاتية ساكنة في الدخائل، حركته يتفوُّه بها الشعراء في فضاء القصيدة فحسب دون احتضان للحركة الزمنية الحقيقية، فلا يتجاوز السطح المرئي الظاهر للكلمات.

- **الانسياب الزماني:** هو الذي يتدفق دون تأجيل أو انتظار، يسير مستمرا مع الأيام دون توقف، حاملا قَدَرِيَّةَ الزمان وقضاءه، متوافقا مع نداء الزمان، يحفِّز الوجدان من خلال آثاره، ولكنه لا يحدُّه حدود زمانية ولا مكانية ولا يخضع للقياس بشكل ثابت، ومن هنا كانت نسبيته.

يقول أبو تمام مادحاً الحسن بن وهب: (٧٨).

عَـامٌ وَشَـهْرٌ مُقْـبِلانِ كِلاهُمَـا مَـا اسْـتَجْمَعَا إِلَّـا لِحَـظٍّ مُقْبِـلِ

فالبيت يختزن أبعادا زمانية تخضع لحال الشاعر، تقوم على الترقب، ابتدعتْها مرجعياتٌ شعوريةٌ، محدَّدة تحديدا نسبيا في ذاتها، فالعام والشهر – وإن تبيَّن محدوديتهما – ولكنها محدودات نسبية لا يمكن الحكم من خلالها على فترة بعينها من الشهر أو العام، فهو وقت ممتد لا يحدُّه قرائن احتجاجية واضحة، فأي شهر أو أي عام مقبل يَقْبَلُ هذا الحكم ؟.؛ لذا فهو احتباس نسبي يركن إلى محدودات سياقية في أزمنتها فقط.

ويقول أبو تمام أيضا: (٧٩)

أَتَأْمَلُ فِي الدُّنْيَا تَجِدّ وَتَعْمُرُ وَأَنْتَ غَداً فِيهَا تَمُوْتُ وتُقْبَرُ

فهذا الغد نسبي أيضا، وإن كان محتبساً احتباساً زمانياً في محددات سياقية، ولكنه غير معلوم، فقد يتحول في دلالته ليدل على الحاضر أو المستقبل القريب أو البعيد بفعل القرائن والأحداث التي تدور وتشهد الحدوث.

فالزمان الانسيابي هو أقرب الأنواع للكيان الوجودي للزمان عبر العصور ؛ لتراتبه، وعدم تعارضه مع الزمان الحقيقي، ولتداركه أبعاد ودلالات لم تكن في حيز الأنواع السابقة، ولكنه يخالفه من حيث محدوديته الوجودية.

ويقول كثير عزة: (٨٠).

وما مرَّ من يوم عليَّ كيومها وإن عَظُمتْ أيامُ أُخرى وجلَّتِ

ويقول قيس لبني: (٨١)

ولم أر أياماً كأيامنا التي مَرَرْنَ علينا والزمانُ أَنِيقُ

يتراءى في هذين البيتين الأثرُ الزماني الذي يتعانق مع الحدث، ليعبر عن أسرار المشاعر وخفايا الإدراكات التي تتجاوز الفضاء النفسي إلى الفضاء الخارجي، فالزمان هنا ليس حدودا وصفية ليوم بعينه أو أيام بعينها، بل وليد الأثر النفسي المعبِّر عن جَمعٍ من الأيام رمز به عنها.

فأشعار العشاق مليئة بالاغتراب الزماني – إذا صح التعبير – لاختلاف صورة الزمان بداخلهم عن صورته الوجودية، بسبب مكنوناتهم ذات العنصر المتغيِّر من خلال تجسيد الزمان بشكل يغاير الزمنية الواقعية ؛ لتعدد الدلالات والتأويلات التي تعبر عن أحوالهم المتباينة فتخرج في قالبها الشعري.

فالزمان يعزز إيجابيات الامتداد النسبي أو الانزياح الإيحائي، فهو يؤثر – بلا شك – في هيكلة المعنى، وبناء المشهد، ورؤى القارئ، وإن كان الزمان – هنا– هو المعنى نفسه ؛ لأن الحدث بدونه لا يستقيم.فـ " تجربة الزمن، وفق شروط الحدة، هي التي تجعل الفنان بعامة والشاعر بخاصة، يخبر الحاضر كاستمرار للماضي وكرائد للمستقبل، يمدُّ أرجلَ الدقائق والساعات والأيام ثم يقلصها، في حدة انهماكه، ويتحكم في الوقت بالسهولة نفسها التي يتحكم فيها النحَّات بالمساحة الزمنية " (٨٢).

فالمتحكم في الزمان – في هذا البحث – ليست الساعة " البيولوجية " التي تختزن أبعادا زمانية تخضع لحالة الكون الوجودي، بل المتحكم هو حالة الشاعر التي تختزن أبعادا زمنية قصيرة وسريعة، أو بطيئة وطويلة، أو واقفة معدومة، أو انسيابية محدودة، وهذا يؤكد أن الزمان – في حد ذاته – بالنسبة للإنسان فكرة نسبية تقوم على الترقب، قائمة على مرجعية الأحداث الكامنة في نفسه، إثر إسقاطات ومثيرات من عوامل خارجية، فالزمان هنا خيالي، تخلو منه الحركة الحقيقية، ذهني ليس له تحقق مادي، ولكنه يتحقق في الذهن فقط.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين،

وبعد

فإذا ما استعرضنا نسبية الزمان في هذه الإطلالة تطالعنا بعض النتائج والتوصيات.

أولا: النتائج

١-أن الزمان ليس حيزا أو نطاقا محدودا، بل هو وجود معنوي مستقل تعانقه الأحداث والأمكنة، ويتحد الجميعُ في كيان واحد لأداء المعنى ورسم خريطته.

٢-أن الزمان نسبي في حق بني آدم، غير ثابت، ليس له محدودات سياقية، يزيد وينقص، ويضيق ويتسع حسب رغبة الإنسان، أما الزمان في حق الله تعالى، فهو زمان مطلق غير نسبي، له حدود كونية وإلهية.

٣-يحمل الزمان تيارات متغايرة، تعكس ما بداخل الإنسان من أحوال، تتغير بمرور الزمان حسب نوع الأحداث التي تمرُّ به اجتماعية أو سياسية أو ثقافيها أو عاطفية.... إلخ؛ لما يحس من تغيرات في عوالمه الداخلية وشعوره.

٤-تعددت صور الزمان النسبي في الشعر العربي القديم، فجاءت للتباطؤ والتسارع والانعدام والانسياب حسب أحوال الذات وما تحمله من مشاعر وجدانية، ومدى أدراكها الحسي للأحداث، تُغَلِّفُها مشاعرٌ صادقة واستجابة لعواطفها طوعا كانت أو كرها.

٥-يختلف كل شاعر في عرض مساحته الزمانية التي تعبر عن أحاسيسه، فالتباطؤ والانعدام يحملان – في الغالب الأعم – معاني الأسى،

والتسارع يحمل – غالبا – معاني السرور، والانسياب تتفاوت معانيه بين الحزن والسرور والوعظ والوصايا.

ثانيا: التوصيات

١-يحتاج التعامل مع نسبية الزمان إلى ثقافة عالية من الباحث، ويجب ألا يتجاوز حدود التقديس مع مراعاة ما للزمان في القرآن الكريم من خصوصية مطلقة.

٢-هناك أشعار كثيرة ما زالت في حاجة إلى البحث في هذا الموضوع، تختلف عن جوانب الغزل والعشق والنسيب، كأشعار الشريف الرضي وحديثه عن نسبية الزمان في الشيب والشباب.

٣-تحتاج دراسة الإيقاع الشعري إلى مثل هذه الدراسة ؛ لبيان الإيقاع النفسي والصوتي والملحوظ والمنطوق وأثره في مستوى طول التفعيلة وقصرها ؛ فالشعر مبني على إيقاعات، والإيقاعات مبنية على كلمات، والكلمات طويلة أو قصيرة، والطول له مدار زمني، والقصر له مدار زمني مغاير، ومدى علاقة الكل بالحالة النفسية لدى الشاعر والقارئ.

٤-أن نظرية النسبية الزمان التي وضعها " آينشتاين "، ونظرية " نيوتن " في الزمان المطلق، وغيرهما، يؤكدان أن العقل ما زال كائنا في الزمان قادرا على إحداث فعاليات وتجديدات جذرية جديدة في ثبوت أن الزمان مازال موضوعا خصيبا للدرس والإبداع.

المصادر والمراجع والدوريات

أولاً: المصادر والمراجع

١- الأصمعيات، اختيار الأصمعي أبي سعيد بن عبد الملك، تحقيق : أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف مصر.

٢- الأمثال الكامنة، للإمام الحسين بن الفضل، تحقيق/علي حسين البواب، مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣- التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٤- جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة/ خليل أحمد خليل، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م.

٥- ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق/ علي عبد العظيم، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ١٩٨٠ م.

٦- ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى، تحقيق محمد عبده عزام، ط دار المعارف بمصر سنة١٩٧٥م.

٧- ديوان أعراس، ضمن ديوان محمود درويش، الطبعة الثانية عشرة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.

٨- ديوان امرئ القيس، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.

٩- ديوان حاتم الطائي وأخباره، تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.

١٠- ديوان الحطيئة، اعتنى به: حمدو طمَّاس، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠٥م.

١١- ديوان الخنساء، تحقيق: حمدو طمَّاس،ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.

١٢- ديوان الشريف الرضي : محمد بن أبي أحمد الحسين، اعتنى به : أحمد عباس الأزهري، طبع مجلس المعارف، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٧ هـ.

١٣- ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق / درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات العليا والنشر والتوزيع، ودار الثقافة والفنون، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٤- ديوان " قرارة الموجة "، ضمن المجلد الثاني لديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧م.

١٥- ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى)، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.

١٦- ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ١٩٧١م، د.ط.

١٧- ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.

١٨- ديوان مهيار الديلمي، دار الكنب المصرية، القسم الأدبي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٦م.

١٩- ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال بالفجالة – مصر، ١٩١١م.

٢٠- الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢١- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٦م.

٢٢- الزمان في الفلسفة والعلم، يُمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، ٢٠١٤م.

٢٣- الزمان والسرد، تأليف : بول ريكور، ترجمة : سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م.

٢٤- شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري، تحقيق / سامي الدهان، دار المعارف، مصر.

٢٥- شرح ديوان عنترة بن شداد، عنى بتصحيحه / أمين سعيد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

٢٦- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، الجزء الثاني.

٢٧- شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب أحمد رومية، عالم الفكر، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، مارس ١٩٩٦م، صـ ١٩٦.

٢٨- الشعر والشعراء، ابن قتيبة،قدم له: حسن تميم، راجعه: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

٢٩- العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيقٍ القيرواني، تح محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط ٥، ١٩٨١م.

٣٠- في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨ م.

٣١- مشكلة الزمن من الفلسفة إلى العلم، أحمد دعدوش، دار ناشري للنشر الإلكتروني (www.Nashiri.Net)، نُشر في مارس ٢٠١١م.

٣٢- النسبية في متناول الجميع، تأليف : جيمس أ. كون، ترجمة : رمسيس شحاته، مراجعة / فهمي إبراهيم ميخائيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣٣- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣ هـ)، ط ١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

ثانياً: الدوريات

١- تشظي السكون في العمل الفني، قصي الحسين، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع ٩٢، سنة ١٩٩٨م.

٢- الزمان والنسبية: دلالات وتأملات، عدنان محمد فقيه، مجلة الإعجاز العلمي- السعودية، ع ٧، ٢٠٠٠م، الصفحات ٢٨-٣١ (مقال).

الحواشي

(١) الزمان والسرد، تأليف : بول ريكور، ترجمة : سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ /، الجزء الأول، صـ ٩.

(٢) الزمان والنسبية: دلالات وتأملات، عدنان محمد فقيه، مجلة الإعجاز العلمي – السعودية، ع ٧، ٢٠٠٠م، الصفحات ٢٨-٣١ (مقال)، صـ ٢٨.

(٣) الزمان والنسبية: دلالات وتأملات، عدنان محمد فقيه، صـ ٢٩.

(٤) الزمان والنسبية: دلالات وتأملات، عدنان محمد فقيه، صـ ٣٠.

(٥) الشعر والشعراء، ابن قتيبة،قدم له: حسن تميم، راجعه وأعدَّ فهارسه : محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، صـ ٣٥.

(٦) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م، ج ٢، صـ ١١٤.

(٧) ديوان الخنساء، تحقيق/ حمدو طمَّاس،ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤، صـ ٧١،٧٢.

(٨) ديوان الخنساء، تحقيق/ حمدو طمَّاس، صـ ٣٤.

(٩) شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري، تحقيق / سامي الدهان، دار المعارف، مصر، صـ ٣٢٥.

(١٠) ديوان أعراس، ضمن ديوان محمود درويش، الطبعة الثانية عشرة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م، صـ ٥٩٦.

(١١) السابق، صـ ٥٨٥.

(١٢) التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، صـ ٩٢.

(١٣) الزمان في الفلسفة والعلم، يُمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م،(د.ط)، صـ ٥٥.

(١٤) النسبية في متناول الجميع، تأليف : جيمس أ. كون، ترجمة : رمسيس شحاته، مراجعة / فهمي إبراهيم ميخائيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، صـ ٦٠.

(١٥) ديوان " قرارة الموجة "، ضمن المجلد الثاني لديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧م، مج ٢/٢٣٥.

(١٦) ديوان " قرارة الموجة "، ضمن ديوان نازك الملائكة، مج ٢/٢٣٠.

(١٧) ديوان " قرارة الموجة "، ضمن ديوان نازك الملائكة، مج ٢/٢٤٨.

(١٨) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢ م، صـ ١٦٠.

(١٩) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨ م، صـ ٢٠١.

(٢٠) جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة/ خليل أحمد خليل، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م، صـ ٥٧.

(٢١) جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة/ خليل أحمد خليل، صـ ٦١.

(٢٢) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٦ م صـ ٢٤٤.

(٢٣) مشكلة الزمن من الفلسفة إلى العلم، أحمد دعدوش، دار ناشري للنشر الإلكتروني (www.Nashiri.Net)، نُشر في مارس ٢٠١١م، ص ١٠.

(٢٤) جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة/ خليل أحمد خليل، صـ ١٠٩.

(٢٥) ديوان الحطيئة، اعتنى به: حمدو طمَّاس، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠٥م.

(٢٦) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، الجزء الثاني، صـ ١١.

(٢٧) شرح ديوان عنترة بن شداد، عنى بتصحيحه / أمين سعيد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، صـ ١٠.

(٢٨) شرح ديوان عنترة بن شداد، عنى بتصحيحه / أمين سعيد، صـ ١٠.

(٢٩) ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق / دريه الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات العليا والنشر والتوزيع، ودار الثقافة والفنون، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م، صـ ٥٧.

(٣٠) الأصمعيات، اختيار الأصمعي أبي سعيد بن عبد الملك، تحقيق : أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف مصر ، صـ ١٢٦.

(٣١) ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق/ علي عبد العظيم، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ١٩٨٠ م، صـ ١٤١.

(٣٢) الأمثال الكامنة، للإمام الحسين بن الفضل، تحقيق/علي حسين البواب، مكتبة التوبة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، صـ ٢٧.

(٣٣) الأمثال الكامنة، صـ ٤٠، برواية (من نكح....)، وجمهرة الأمثال، ٢٥٨/٢.

(٣٤) يُؤكد هذا المعنى قول حاتم الطائي :

هَلِ الدَّهرُ إلَّا اليَومُ أو أَمْسُ أو غَدُ كَـذَاكَ الزَّمَـانُ بَيْنَنَـا يَتَـرَدَّدُ

ديوان حاتم الطائي وأخباره، تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت، ص ٢٦٢.

(٣٥) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، صـ ١٨٣.

(٣٦) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت، صـ٨١

(٣٧) جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة/ خليل أحمد خليل، صـ ٥٢.

(٣٨) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ٧٢.

(٣٩) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ٨١.

(٤٠) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ١٧٠.

(٤١) ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ١٩٧١م، د.ط، صـ ١٤٢.

(٤٢) ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، صـ ٤٦٤-٤٦٥.

(٤٣) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى)، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤، صـ ٧٩.

(٤٤) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى)، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، صـ ٦٩.

(٤٥) ديوان امرئ القيس، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤٨، ٤٩.

(٤٦) ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال بالفجالة – مصر، ١٩١١م، صـ٩.

(٤٧) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، صـ ٢٦٩.

(٤٨) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، صـ ١٥٢، ١٥٣.

(٤٩) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى، تحقيق محمد عبده عزام، ط٤، دار المعارف بمصر، مج ١٥٢/٣.

(٥٠) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى، ٧٢/٣.

(٥١) شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب أحمد رومية، عالم الفكر، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، مارس ١٩٩٦م، صـ ١٩٦.

(٥٢) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ٧١.

(٥٣) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ١١٥.

(٥٤) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ٩٩.

(٥٥) ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، صـ ١٣٥.

(٥٦) تشظي السكون في العمل الفني، قصي الحسين، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع ٩٢، سنة ١٩٩٨م، ص ٢٠٧.

(٥٧) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى، ١٢٨/٣.

(٥٨) ديوان مهيار الديلمي، دار الكنب المصرية، القسم الأدبي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٦م، ٢/ ٧.

(٥٩) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ٢٢٦.

(٦٠) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ١٢١.

(٦١) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى)، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، صـ ٧١.

(٦٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى ، مج ٣/ ١٥١.

(٦٣) ديوان مهيار الديلمي، ، ٢/ ٧.

(٦٤) ديوان الشريف الرضي : محمد بن أبي أحمد الحسين، اعتنى بـه : أحمـد عبـاس الأزهري، طبع مجلس المعارف، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٧ هـ، ص ٣٧٠.

(٦٥) ديوان الشريف الرضي، اعتنى به : أحمد عباس الأزهري، ص ٣٩٩.

(٦٦) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، صـ ١٥٣.

(٦٧) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ١٠٢.

(٦٨) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ٢٢٨.

(٦٩) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النـويري (ت٧٣٣ هـ)، ط ١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ١/ ١٣٥. ولقد أفرد النويري فصلا كـاملا تحدث فيه عن أحوال الليل.... انظر ١/ ١٣٥- ١٤٥.

(٧٠) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣ هـ)، ١/ ١٣٥.

(٧١) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣ هـ)، ١/ ١٣٥

(٧٢) شرح ديوان أبى تمام لمحمد محيى الدين عبدالحميد ـ الناشـر مكتبة صبيح، مصر، ١٨٦/١.

(٧٢) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ٧٣.

(٧٢) ديوان مجنون ليلى، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، صـ١٣٧.

(٧٢) ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، صـ ٥٢٨.

(٧٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، صـ٥٠.

(٧٢) ديوان مهيار الديلمي، ١٠/٢.

(٧٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى، ٤٦/٣.

(٧٢) ديوان أبي تمام، تحقيق : محمد عزت نصـر الله، بيـروت : دار الفكـر للجميـع، ١٩٦٠م، صـ ٢٨٥.

(٧٢) ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس، صـ ١٠٢.

(٧٢) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى)، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، صـ ١٠٢.

(٧٢) تشظي السكون في العمل الفني،، قصي الحسين، صـ ٢٠٢.